التربية اللغوية للطفل داخل الأسرة

د.قادري حليمة (*)

مقدمة:

الأسرة وحدة أساسية في المجتمع، ولها دور أساسي في تشكيل مظاهر سلوك الطفل، وخاصة **اللغوي** منه، والذي يدعو إلى ضرورة أن يتلقى الطفل اتصالا فيزيقيا وانفعاليا يتسم بالدفء من القائمين على رعايته، فمن خلال ذلك يتم تحفيز واستثارة دافعيته للقيام **بالمناغاة**، والتحول في النهاية إلى **الكلام ذي المعنى**، ولهذا فإنّ الأسباب التي تكمن وراء تعلم **اللغة** عند الطفل هي اجتماعية في الأساس، نتيجة اختلاطه بالبالغين الراشدين الذي يشجع **سلوكه اللفظي**، وبالأخص إن وجد في محيط يمتعه بفرصة الاستماع والتقليد، والتحدث مع الوالدين أو الأجداد، أو من يقوم مقامهما، ويجب الإشارة أن فهم الطفل لمعرفة أسماء الأشياء يتم إشباعه في الأسرة أفضل من أي بيئة أخرى، فالأولياء في كثير من الأحيان يعبرون عن الأشياء باللفظ، ومسمياتها، وعن الأحداث التي يعيشها بوضوح؛ فقلد أشارت الدراسات الحديثة إلى سرعة نمو **لغة الطفل** من خلال لغة البيت، فالبيت هو الذي يقوَي **الحصيلة اللغوية السماعية** على وجه الخصوص؛ وخلال هذا الوقت كلّه يتطوَر قاموس الطفل سريعاً في السنة الثانية ليشمل مفاهيم جديدة، حيث يستجيب للأوامر والأسئلة، ويستخدم الكلمات الصعبة، وأحياناً الصيغ اللغوية المألوفة ويدرك معانيها، فتزداد قدرة الطفل على فهم المجرَدات بعد السنة الثانية من عمره، ولذا يجب الاستماع إليه، وإعطاؤه العناية الكافية حتى يعبَر عن نفسه كما لا ينبغي الخوف من الأخطاء الشائعة في ألفاظ الأطفال وكلماتهم، لأنها ستزول بفعل النمو والخبرة، ويعني هذا الأمر أن دور الأسرة هام في **النمو اللغوي** للغة الطفل، لأنّه لا يقتصر دور **اكتساب اللغة** على **المحاكاة** كما يرى السلوكيون، بل يضاف إليه التوليد بفضل ما يملكه الطفل من كفاية لغوية على توليد أنماط لغوية لم يسمعها،

* ـ قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا بوهران.

فعقل الطفل خزَان من المعلومات، فيكفيه ذلك الجوَ الاجتماعي كي يتدفَق ذلك الخزان، وهنا يأتي دور الأسرة في تصحيح ذلك **التدفَق اللغوي** بتهذيبه وإغنائه عن طريق التحدَث إليه، ومطالبته بمناداة إخوته، وتسمية ما يحيط به[1].

لذلك قبل التطرق إلى نوع من التفصيل إلى أهمية الأسرة من الناحية اللفظية نطرح التساؤلات التالية: **ما دور الأسرة في النمو اللغوي للطفل؟ وما هي الأساليب التي تتبعها لنمو لغوي سوي؟**

أهمية الأم في النمو اللغوي للطفل:

تعد الأم المعلمة الأولى للغة الطفل سواءً من ناحية الزمن أو من حيث الأهمية، فهي التي تدخل معه في حوار بسيط وبالحركات مع مولودها، وهي التي تراقب سلوكه باهتمام بالغ للتأكد من سلامة جهازه التنفسي أو الصوتي، وحتى السمعي والبصري؛ ومع دخول وليدها عامه الأول "تنتظر بفارغ الصبر سماع ملاكها الصغير وهو يناديها بصوته البريء العذب بكلمة "ماما"، وإن كان ذلك يشبع غريزة الأمومة لديها، إلا أنّه يطمئنها عليه، وعلى تطوره اللغوي الملازم لتطوره البدني والذهني والحركي والسلوكي.

ولربما كان أكثر الأوقات إفادة للطفل في تعريفه بالكلام، هي الأوقات التي تحتضنه فيها الأم بين ذراعيها أو أثناء إرضاعه، أو إلباسه، حيث يصبح كلام الأم معززاً ثانوياً، فقد يقول الطفل حرف "با" إشارة إلى بحثه عن أبيه، ويظهر الأب مجرد أن تقول الأم "بابا آت"، ويتكرر الموقف عدداً من المرات، سرعان ما يطلق الطفل كلمة" بابا"، ولذلك فإن **للتعزيز** دوراً هاماً في زيادة **المخزون اللفظي** للطفل، والتعرف على المحيط الخارجي، ويرى **بولبي Bowlby** أنّ تعلق الطفل بأمه لا ينبع فقط في كونها تؤمن له حاجاته، وتساعده على الاستمرار في الحياة، وإنما هو تعلق نفساني بالعاطفة التي تظهره الأم حيال طفلها، وعلى هذا الأساس ينادي هذا العالم بنظرية **التعلق**، أما عندما تعجز الأم عن إتمام بدورها العاطفي حيال أطفالها

1- صالح بلعيد، علم اللغة النفسي، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2008، صص176-177.

إثر وفاتها أو مرضها، أو لمشكل اجتماعي آخر ينصح **بولبي Bowlby** بإبدال أو استبدال الأم، وتوجيه المسار النفسي للطفل، ونموه الذكائي في الطريق الصحيح، وذلك عن طريق مساعدة ومساندة الإخوة للقيام بهذا الدور الفعال لملء الفراغ، ولضمان السير الحسن للنمو الفعال للطفل، ومن جميع النواحي العقلية، الجسمية والحركية والمعرفية واللغوية[1].

ففي كثير من الأحيان نجد الأطفال الرضع الذين تربوا في دور الحضانة، عندما يناغون نادرًا ما يضحكون، ولهم وجه غير معبر تقريبا، لأنّ العلاقات الأولى بين **أشكال اللغة** (الكلام–الكلام مع حركات الجسم والوجه) لم تلق تشجيعاً من قبل المربيات، رغم تواجدهم في ظل ظروف صحية هائلة؛ ومن الأمور المتكررة والعادية أن يمضي الطفل يومًا كاملاً دون أن ينطق بكلمة واحدة، ولا يثير ذلك قلق ولا تساؤل أحد، وقد أثبتت الدراسات العلمية أن لغة محيط الوسط الأسري، ورفاق اللعب لها تأثير كبير في **اكتساب الطفل للغة**، وثمة ارتباط كبير بين درجة **الإثارة اللغوية**، و**كثافتها** من قبل الأهل، وبين **القدرة** على **الاكتساب** و**السرعة** في ذلك، فالأطفال الأيتام مثلاً يظهرون رصيداً لغوياً أقل من الأطفال الذي يعيشون مع أسرهم[2].

فاللغة تكتسب على صورة ردود فعل انعكاسية، والطفل يتعامل مع محيطه لغوياً معتمداً على أدوات الحس والحركة، لذلك فهو ناقل أمين للألفاظ التي يستخدمها الراشد؛ وهذا الذي يساعده على الانتقال من التمركز حول الذات، ومنولوجات داخلية ذاتية، إلى مرحلة التفاعل الاجتماعي الرمزي اللغوي.

مما لاشك فيه أن الأمهات لا يتحدثن مع أطفالهن بنفس الطريقة التي يتحدثن بها مع الكبار، فعندما تتحدث الأمهات معهن غالباً ما يرفعن درجة صوتهن، ويستعملن أساليب التصغير والتأنيث،كما تلجأن إلى **التبسيط** إعتقاداً منهن أن الطفل غير ناضج معرفياً؛ وقد أجريت دراسات ممتعة عن

1-Annick Cartron, Fayda Winny Kamen, ***les relations sociales chez l'enfant*** 2ed, Armand colin, Paris 1999, p15.

2- راتب قاسم عاشور،محمد فخري مقدادي، المهارات القرائية والكتابية-طرائق تدريسها وإستراتيجيتها، دار الميسرة، الأردن.33،2009.

تأثير التغيرات في كلام الأم على مدى تعلم الطفل للكلام، فقد عمد **نيبورت** وزملاؤه **Newport et al ;1990** لدراسة هذه المسألة، بدأ الباحثون أولاً باختيار مجموعة من الأطفال الذين يقعون في نفس المرحلة اللغوية، وكانوا مجموعة من الأطفال في سن (15) شهراً، ولايتكلمون إلا بكلمات منفردة، وإذا كان تعلم اللغة يتأثر بأسلوب الأم في الكلام، فإن الفروق بين الأمهات يجب أن تنعكس في **النمو اللغوي** اللاحق للأطفال، فأخذت عينات من كلام الأمهات وعينات من كلام أطفالهن بعد ستة أشهر(أي كانت العينة الأولى من كلام الأطفال قد أخذت عندما كان عمر الأطفال 15 شهراً، والعينة الثانية عندما كان عمر الأطفال 21 شهراً، وتم تحليل العينة الثانية على عدد من الأبعاد اللغوية مثل طول الجملة، وبنائها وحجم الذخيرة اللفظية..، وكان السؤال الذي يبحث عن الإجابة هو ما إذا كان كلام الأم مع طفلها؛ عندما كان في الشهر (15) من العمر يتنبأ بمدى تعقيد كلام الطفل في سن (21) شهراً على كل من الأبعاد اللغوية، وظهر من نتيجة البحث غياب العلاقة بين مدى تعقيد كلام الأم، ومدى تعقيد كلام الطفل، وسرعة اكتسابه للغة، بيد أن النتائج أشارت إلى أن بعض **الأساليب اللغوية** التي تستعملها الأم بشكل مكثف تظهر في كلام الطفل في وقت أكثر تبكيراً، ويعني ذلك أن سرعة تعلم الطفل للغة لا تتأثر بأساليب الأمهات في الكلام، ويبدو أن جميع الأطفال يتقدمون على وفق جدول نضج مستقل نوعاً ما عن الاختلافات بين الأمهات[1]. ومما ذكر آنفاً فإن علاقة الأم بالطفل تعتبر من أقوى الروابط الوجدانية، فالطفل بمجرد خروجه لهذا العالم يجد أمه التي تحمله، وتسهر على إرضاعه، وراحته حتى يكبر، وعلى الرغم من أن العديد من الدراسات أشارت إلى أن الأم تلعب الدور الرئيسي في تطوير **المهارات اللغوية** عند الطفل في سنواته الأولى، إلا أنه وعلى ما يبدو فإن هذا الأمر لا يتحقق في جميع الأسر، فالأم بخروجها إلى الحياة العملية، فإن وظيفتها حتماً ستتغير، وتظهر مشكلة العناية بمولودها، وهنا تضطر للبحث عن البديل،أين تتجه معظم الأمهات العاملات إلى دور الحضانة، وضع أطفالها بين أيدي

1- الحمداني موفق، علم نفس اللغة-من منظور معرفي،ط:2، دار الميسرة، 189،2007-199.

المربيات طوال فترة العمل، وبقائها لساعات طويلة دون رعاية أبنائها لغوياً، ومعرفياً، ووجدانياً؛ والذي يؤثر على شخصيتهم، ونموهم **الفيزيولوجي** خاصة خلال الأشهر الأولى من الولادة؛ إن غياب الأم من المنزل يولد شعوراً بإهمال الأطفال، ويترك انعكاسات وآثار سلبية تؤثر بشكل مباشر عليهم، وهذا طبعاً يكون من جراء تركها للمنزل خلال ساعات العمل التي تقضيها يومياً بعيدة عن أطفالها، أو حين عودتها إلى المنزل مثقلة بهموم العمل، ومتاعب لتبدأ دورة عمل جديد داخل المنزل؛ وعلاوة على ذلك نجد من الأمهات العاملات من يتمادين في التعامل مع أطفالهن، وتتمثل هذه المعاملة في تدليل الطفل مما يجعلها توظف كلمات مبسطة ومشوهة عن **أصلها اللغوي** ؛ لذا يجب عليها أن تتحدث مع طفلها ببطء ووضوح، حتى لا تتسبب له بسوء الفهم، وأن تدربه على الدقة في اللفظ، والوضوح في التعبير حتى تقلل من **صعوباته اللغوية** إلى حد كبير في المستقبل باعتبار الأم هي الشخص الوحيد القريب من الطفل خلال ثلاثة سنوات الأولى من حياته، ولها دور في توسيع خبرته الاجتماعية.

في هذا الشأن قام باحثون من جامعة "**نورث كارولينا– تشاب هيل**" الأمريكية بدراسة فريدة من نوعها، هدفت إلى تقييم دور كل من الوالدين في تطوير المهارات اللغوية عند طفل الثانية، حيث تبين أن دور الأم، في الأسر التي تكون فيها الأمهات عاملات ومعيلات إلى جانب الأزواج، يصبح أقل تأثيراً في تحسين **الأداء اللغوي** عند الطفل، وذلك مقارنة بتأثير والده؛ وكان الباحثون أجروا دراسة شملت مجموعة من الأطفال وذويهم، حيث كان المعدل العمري للأطفال يقرب العامين، وقد اشترط القائمون على الدراسة أن تكون جميع الأمهات في عينة الدراسة عاملات، ومن المعيلات لأسرهن إلى جانب الأزواج. وعمد الباحثون إلى تسجيل الأحاديث التي تجمع كل من الوالدين بالطفل، أثناء وقت اللعب، وذلك من خلال كاميرا فيديو تقوم بهذا الأسر، ومن ثم قاموا بتحليل محتويات تلك التسجيلات، كما عملوا على متابعة الطفل حتى بلوغه الثلاثة أعوام، وذلك بهدف تقييم تطور أدائه اللغوي. وتشير نتائج الدراسة أنه ومقارنة بدور الأمهات، فإن لجوء

الوالد لتنويع استخدام **المفردات اللغوية** أثناء الحديث مع الطفل، كان له أثر أكبر في تطوير **المهارات اللغوية** عند الصغير. وحسب الدراسة فإن استخدام الأم، العاملة المعيلة، لذات الأسلوب في حديثها أثناء تواصلها مع الطفل وقت اللعب، كان أضعف تأثيراً في تحسين **الأداء اللغوي** لديه، وذلك مقارنة بتأثير والده[1].

أثر الظروف الاقتصادية – الثقافية على لغة الطفل:

من الثابت أن تعلمّ اللغة يعتمد –منذ الميلاد– على الظروف الاجتماعية والثقافية أكثر من تأثره بالصفات الوراثية. **فالكلمة** بعناصرها (الصوت – الكلمة – التراكيب الصرفية والنحوية) تتأثر بشكل كبير بطريقة الاستماع واللعب، والاستيعاب والتفكير؛ كما أن **رصيده اللغوي** يكون واسعاً أو محدوداً حسب نوع **الحافز** أو **الدافع** التي تستطيع الأسرة توفيره من لعب تركيبية، أو أقراص مضغوطة ذي طابع تعليمي–تربوي، والتي تحمل الأشرطة الوثائقية البسيطة عن الحيوانات مثلاً. ولقد أثبتت العديد من الدراسات والبحوث العلاقة الوطيدة ما بين **النمو اللغوي** للطفل، ومستوى الوالدين **التعليمي**، وأن **ثقافة** وتعليم الوالدين عوامل مساعدة تكسب الوالدين الأسلوب، والطريقة الصحيحة في تربية الأطفال، ولاسيما الإجابة على أسئلتهم، واستفساراتهم ومشاركتهم الحديث باستمرار، وتساعد هذه العوامل على زيادة **المحصول اللغوي** للطفل.

وفي هذا الشأن يرى **ماريا بيرس** وزميله **M. Birset** "أن الطفل في سن ما قبل المدرسة ما هر في استخدام اللغة، ويحب التحدث أمام الجماعة، وكثير الأسئلة، إذ يأتي إلى الحياة، وكل ما هو حوله جديد وغريب، وهو في حاجة دائمة إلى معرفة ماهية الأشياء؟ ولماذا تحدث؟ فتتنوع أسئلته من، ما هي؟ لماذا؟ كيف؟ ومتى؟ أين؟ ومن؟ لذلك على الأم أو المحيط ألا يضيف بأسئلة الطفل، ونتركه يتحدث على أن تصحح له أسلوبه ما أمكن حتى يستطيع أن يعبر عن أفكاره، فتنمو حصيلته اللغوية، وتزداد ثقافته، وتنمو

1 - http://www.arabpark.net/vb/f23/t76722

شخصيته، والمهم أن تجيب بطرق ذكية، وبأسلوب موضوعي بسيط يناسب مستوى نضج الطفل"[1].

ويضيف **سرجيو سبيني** "أنّ **المخزون اللفظي** يكون واسعًا أو محدودًا بالنسبة لنوع العائلة التي ينتمي إليها، وكذلك أيضا الارتباط اللغوي مع مستوى نضجه والعلاقة بين عمره اللغوي وعمره الزمني، مشير إلى ما ذكره **داريس فارن Daris Varin** بقوله "إنّ الطبقة المتوسطة والعاملة تختلف اختلافا رئيسيًا فيما بينها في **استخدام اللغة**، وفي استعداد الأمهات للإجابة على أسئلة أولادهن، فأمهات الطبقة المتوسطة يجبن على أكبر عدد من أسئلة أطفالهن، ويعطين إجابات متأنية مزودة بكم كبير من المعلومات، وهن يتجنبن في عرضهن للإجابات الألفاظ الصعبة، ويملن إلى الألفاظ السهلة البسيطة[2].

على نفس النحو إعتقد **برنستين Brinstin** أنّ أبناء الطبقة الفقيرة يتواصلون لمعونة رمزية محددة تنقلها الإشارات غير اللغوية، وذلك خلافا لأبناء الطبقتين المتوسطة والعليا الذين يستخدمون رمزية لغوية متقدمة تمكن من نقل كل مضامين الحوار لغويًا، ويضيف أن **الفروق اللغوية**، تؤدي إلى توجهات متباينة تشمل بقية جوانب الحياة، مثل التربية والعلاقات التبادلية، واللغة برأيه تشكل التعامل الاجتماعي وتؤطره[3].

وهذا ما أكده **ستيرن Stern** (1930) من خلال دراساته الدقيقة على **لغة الأطفال** أن طفل الطبقات الراقية يتقدم على قرينه في الطبقات المنخفضة في مهاراته اللغوية بما يقرب من ثمانية شهور، ولقد كانت نتائجه مشتقة جزئياً من دراسة **دسكودر Descoeudres** عن **العادات اللغوية** لدى طفل بلجيكي من طبقات اجتماعية عالية.

1- ماريا بيرس، جنيف لاندو، ترجمة عبد الرحمن سيد سليمان، د شيخة يوسف الدربسي، 1996، ص165، 166.

2- سوجيو سبيني، ترجمة فوزي عيسى عبد الفتاح حسن، التربية اللغوية للطفل، دار الفكر العربي، القاهرة 1991، ص93.

3- ميخائيل إبراهيم أسعد، مالك سليمان مخول، مشكلات الطفولة والمراهقة منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت 1982، ص167.

ودراسة **ماكارثي** **Mc McCarthy** (1936) كذلك في **مينابوليس** **Minneapolis** على 140 طفل، أشارت أيضاً إلى هذه النتائج، ولقد تركت دراستها مسحة من الشك في أن الحالة الاقتصادية والاجتماعية للوالدين تلعب دوراً في **النمو اللغوي** عند الأطفال، وعموماً فإن دراستها لم تدعم الملاحظات التي ذكرت فيما يتعلق بالمفردات فقط، بل أشارت بالإضافة إلى أن طول جمل الأطفال يختلف تبعاً للمستوى الاقتصادي لوالدي الطفل، فلقد أبانت النتائج أن أطفال البيوت الراقية قد كوّنوا جملاً أطول من جمل الأطفال من بيوت متواضعة، كما أن **ماكارثي** قد وجدت أن هناك ارتباطاً ايجابيا بين استعمال الجمل المركبة والحالة الاجتماعية والاقتصادية للطبقة الراقية[1].

لذلك يجب أن نشير أنه هناك ضرورة ملحة لبذل المزيد من الجهد من قبل الأم والأب في حديثهما مع الأطفال، والأهم على الأم والأب مراعاة الاهتمام بطريقة حديثهما أمام أبنائهما، ونوعية الكلمات التي يستخدمونها أثناء الحديث معهم، ومن المؤكد من النواحي التربوية أن مستوى ونوعية الأحاديث مع الأطفال تلعب دوراً في غاية الأهمية بشكل عام عند سرد القصص أو الحديث أثناء اللعب والتواصل الكلامي معهم؛ فالطفل في مراحل الأولى من العمر قابل للتلقي، والحفظ والاستيعاب، وقادر بشكل أفضل من ترديد الكلمات، وهو في تلك من العمر لا يميز الفرق بين العامي أو الفصيح. فاللغة من الاستجابات المتعلمة، فكلما ازدادت قوة الدافع إلى استخدام اللغة، وكلما ازداد مفعول الثواب التي يؤدي إلى الكلام، إزداد حظ السلوك اللغوي من التطور والنمو. ولتوثيق العلاقة بين الطفل و**الممارسة** **اللغوية** على الأسرة أن تبدأ وفي وقت مبكر من حياة الطفل قراءة القصص القصيرة المسلية والمشوقة، أو عن طريق إهداء بعض القصص المصورة والأشكال التي تعبر عن تساؤلاتهم، واستفساراتهم الكثيرة، بغية الحصول

1- حامد عبد السلام زهران، رشدي أحمد طعيمة، عادل عز الدين الأشول، محمد عبد الرزاق الشيخ، لطفي عمارة مخلوف، محمد متولي قنديل، شايان عبد اللطيف أبوزنادة، محمد لطفي جاد، أمل عبد المحسن زكي، المفاهيم اللغوية عند الأطفال،ط: 2، دار المسيرة للنشر، الأردن، 2009،صص 220-221.

على الحقائق والمعلومات التي يريدونها، وبالتالي إقبالهم على استعمال الكلمات باعتبارها جزءاً ممتعاً يحصل من خلاله الطفل على مايرغب، وتوفير **بيئة لغوية** وثقافية في الأسرة مما يساعد على إثراء خبرات الطفل، وتنمية **مهاراته اللغوية** وذلك عن طريق سلوك الوالدين في هذا المجال بأن يشبعوا في الأسرة جو الحوار والمناقشات الهادفة.

فالأطفال يكتسبون اللغة والمهارات الاجتماعية في آن واحد، وتظهر جلياً شدة تأثرهم بالاستعمالات اللغوية المتواضع عليها ضمن بيئتهم الاجتماعية منذ بداية نموهم الأولى، فحتى في مرحلة المناغاة، نجدهم يتميَزون بطرق التعبير المختلفة في تسميتهم للأشياء الصغيرة (كالحيوانات، واللُعب، وغيرهم من الأطفال الرضع) وكذلك في كيفية مخاطبتهم للكبار، ولما كان بوسعهم فعل ذلك فإنه دليل واضح على أنهم تلقوا ذلك عندما خاطبهم غيرهم باستعمال مختلف من اللغة، ممَا يسمح لهم ومنذ سن مبكرة معرفة وجود أكثر مُنوعة لغوية[1].

أسس ووسائل التربية اللغوية داخل الأسرة:

تتعدد أساليب الأسرية التي تزيد من **الرصيد اللغوي** للطفل لذا من الضروري أن تتكلم الأم باستمرار وبود ولطف مع صغيرها، ويا حبذا لو أسمعته بالطريقة الملائمة، وفي الوقت المناسب أصواتاً مختلفة ومن الأفضل أن تصحب ذلك بابتسامة ونظرة تجذب انتبه الطفل، ومن الأفضل كذلك أن تقود الأم صغيرها عن طريق الكلمة، إلى إدراك الظواهر السمعية والصوتية المختلفة والتمييز بينها. فالطفل يتعلم السلوكيات المشروطة لغوياً وفكرياً من خلال إشارات المحيط وفي ظرف إجتماعي، و يتعلم كيفية **استعمال اللغة** وفق القواعد المعيارية المعروفة في ذلك الأسرة، وهذا بمراعاة وبدون قصد الخصائص الصوتية والمعجمية، والأسلوبية والتركيبية للمتحدثين الذين يعيش معهم. وهذا ما ذهب إليه **ويات L. Wyatt** "باعتبار الأم هي النموذج الأول للطفل التي تسمح له بتقليد الأصوات والكلمات،

1- برنار صيولسكي، ترجمة عبد القادر ستقادي، علم الاجتماع اللغوي، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010، ص 117.

وتصحبه نحو التجارب التي يعيشها الطفل، وتساعده على تركيب جمل ذات معاني، وتشكل له أهم مصدر للتغذية الرجعية التقويمية لما يقوله[1].

ويعتمد اكتساب **الدلالات** لدى الأطفال على **التطور المفاهيمي**، ولا يستطيع الطفل أن يتعامل مع **المعاني** إلا من خلال **المفاهيم** المتاحة له في ذلك الوقت، وهكذا يسبق النمو المفاهيمي النمو اللغوي؛ فالطفل قد يمتلك مفاهيم عن طريق استقبال ما يسمعه أو ما يشاهده قبل تكوينها ونطقها.

ويقول بعض المنظرين أن اكتساب الكلمات الأولى لدى الطفل يتم عن **طريق الإشارة Ostensive Model** (**Quine**,1960) أي أن الأبوين يؤشران نمو الشيء وينطقان اسمه، فقد تؤشر الأم على الأب، وتقول"بابا" حيث يربط الطفل بين الكلمة والشيء تمت الإشارة إليه، ولكن بعض المنظرين يعترضون على ذلك فيقولون أن الطفل لا يعلم ما الذي تمت الإشارة إليه، هل هو الأب بأجمعه أو قدميه، أو بدلته، أو رائحته، أو طريقة مشيته[2].

ولا نغفل هنا دور اللعب الذي له صوت إيقاعي، والأصوات والنغمات المتباينة في أغاني الأطفال، وأدوات الطعام، والعبارات ذات النبرة المختلفة في زيادة قدرة الطفل السمعية، بل إن الطفل الأصم في الشهور الأولى من حياته يسلي نفسه بإصدار أصوات غير محددة، ولكنه شيئا فشيئا يتخلى عن ذلك لأنّه يفتقد الحافز الذي يكمن في إدراكه المباشر للأصوات التي يصدرها، وكذلك لا يلقي تشجيعًا بالكلام ممّن هم مثله، وعلى العكس تمامًا فإن الطفل يستمتع بسماع نفسه وسماع الكبار الذين يقلدون مناغاته ويشجعونه على الكلام. ومن تم فهو يمضي في المناغاة محاولا أن **يقلد** الأصوات البسيطة والكلمات، وبعض المقاطع، وكذلك بعض الأصوات الصادرة من البيئة حوله، وفي هذا الصدد يشير **بشير سيد سليمان** وزملائه "أنه عندما يبدأ الطفل الرضيع بالمناغاة حيث يلهو بالأصوات لمجرد اللهو، وخلال عدة شهور يكون قد حقق المعجزة التي

1-Gestud, R. Wyatt, ***la relation mère – enfant et l'acquisition du langage***, 2ed, Pierre Mardaga, Boruxelles, 1973, p53.

2- الحمداني موفق، علم نفس اللغة-من منظور معرفي- ط:2، دار الميسرة، 2007، ص210.

تتمثل في ربط الأصوات التي يصرها الآخرون وتلك التي يصدرها بنفسه، بالأشخاص والأشياء وحينما يقوم بنطق الكلمات الحقيقية الأولى، ومن ذلك الوقت فصاعدا يلعب الأطفال بالكلام بلا توقف[1].

وبإمكان أفراد العائلة، أن يساعدوا وينموا ملكات الطفل اللفظية من خلال التعبير الشفهي الذي يقومون به حول الخبرات الحياتية التي يتواجدون بها بقولهم مثلا: "ألبس حذاءك"، "الفطور جاهز"، "لا تلمس النار". وبسماع الطفل لهذه الألفاظ والمفردات اللغوية للأشياء التي يعيش بينها، فإنه يكتشف بهذا الشكل العلاقة الموجودة بين الكلمة والحقيقة، ويتعلم كيف يميّز بين أجزاء جسمه وملابسه، ويبدأ يتعرف على محتويات المنزل. وهذا ما وضحه **إيرا جوردن Ira Gorden** بقوله: "تكلموا مع الأطفال بصوت مرتفع عن كل الأشياء التي ترونها أو تفعلونها، علموهم أنّ كلّ نشاط، وكلّ شيء مسمى، وإذا حاولتم أن تكلموهم بتمهل ووضوح فإنّ الفائدة التي سيحصل عليها الطفل أكثر نفعًا".

ولكي ينتقل الطفل إلى **مرحلة الكلام** الحقيقي ينبغي له أن يشعر بأن صوته قادر على التفاعل مع الواقع المحيط به، ومن الطبيعي أنّ هذه أصعب خطوة بالنسبة إلى الطفل، فلكي يتمكن من **الاتصال اللفظي** لابد أن يحس بقوة ألفاظه، وبإمكانات الفائقة التي تكون في صوته، "ومن الطرق القليلة التي يمكن بواسطتها أخذ بيد الطفل على هذا النمو الطبيعي المشاركة المستمرة من جانب أولئك المحيطين إذ يجب حمله دائما على الربط بين الأصوات والأشياء[2]، ولا بأس كذلك في إبداء علامات الاستحسان لكل محاولة لفظ من جانب الطفل، ولمساعدته على تمييز هذه الأشياء والمسميات لزيادة **ثروته اللغوية**، ولتسهيل استخدامه للألفاظ بصورة ملائمة، ولخلق ظروف مواتية للحوار يكون من الأفضل اللجوء إلى الصور المرسومة والمصورة فإن طريقة الصور تخلق في الطفل، وتوقظ فيه خبراته المباشرة، وتوسع أفقه، كما أنها توقظ في الطفل ملكة التعليق على الأشياء، وتساعده

1- عبد الرحمان سيد سليمان، شيخة يوسف الدربسي، اللعب ونمو الطفل، دار النهضة العربية، القاهرة، 1996.

2- سرجيوسيني، ترجمة فوزي عيسى، عبد الفتاح حسن، المرجع السابق، ص95-96.

على القراءة كذلك، مثلا عند قولنا "هذا نمر" يحب إحضار صورة عن هذا الحيوان، حيث لا يحدث له خلط مع الحيوانات التي تشبه كالقط، ورغم أن استخدام الأشياء المرئية يعد عاملا هاما لنمو تفكير الطفل القائم على **الصورة**، ولكن يجب أن يتكامل مع وسيلة الصورة وسيلة الأخرى هي **الحكايات** التي تبدأ قصيرة جدًا ثم تطول شيئا فشيئا خاصة عند شعور الأجداد بمدى أهميتهم بالنسبة للطفل، إذ يكون ذلك دافعًا لأن يجعلهم يرعونه، ويلبون احتياجاته، كما يداعبونه ويستمعون إليه، ويتحدثون معه بسرور، بل ويصطحبونه للنزهة في بعض الأحيان حيث يشرحون له كل تساؤلاته، وغالبًا ما يقصون له الحكايات، أو مواقف حياتهم التي يجدونها شيقة.

ويجب على الحاكي أن يتكلم بطريقة واضحة، وبسيطة، وطبيعية، دون اللجوء إلى المحسنات البديعية، وعليه أن يغيّر من نبرة صوته، ومن طريقة إلقائه حتى لا يسأم السامعون، كما يتعيّن عليه أن يحسن الوقفات حتى يخفف من التوتر الانفعالي لدى الطفل، وكذلك ليلتقط أنفاسه، ويستعيد نشاطه وانتباهه، ومن الأجدر الإشارة أن للصوت في الحكاية أهمية كبرى إلى حد أن طريقة لعرض السيئة قد تشوه تمامًا حكاية جميلة إلى حد كبير. وعمومًا أنّ أصوات النساء حانية، وذات نبرة هادئة وغالبًا ما تكون مصحوبة **بالحركات**، وإن وجد منهن ذوات الصوت الأجش الفج والممل الأمر الذي يعود بالسلب على الحكاية، كما يجب على من يحكي أن يراعي أنه لا يلقي درسًا، بل عليه أن يضع في حسبانه أنّ الأطفال ليسوا أمامه لسماع دروس ما، بل ليكونوا على اتصال مع كائنات تعيش وتتحرك وتتصرف وتبصرهم، هذه الكائنات هي أشخاص وأشياء إبطال حكايته. كما يجب كذلك اختيار الوقت المناسب للحكاية، بحيث يكون الأطفال فيه مستعدين لأن يسحروا ويبهروا، لا أن يكونوا متعبين وفي حاجة إلى الراحة.

الخاتمة: لا أحد ينكر أن الأسرة التي يمضي الطفل في أحضانها سن عمره الأولى المدرسة الرئيسية للغته، والتي يكتسب فيها أولى **خبراته**

الصوتية من خلال البكاء والصراخ والمناغاة والتقليد، وإذا كانت تحتفظ بالصدارة في مجال **تربية الطفل اللغوية**، فإنّه يتعيّن على الروضة أن تجعل من نفسها امتدادًا طبيعيا لدور الأسرة لتنويع **مكتسباته اللغوية**، وزيادة خبراته من خلال **الوسائل التعليمية** ودخوله في محادثات وحوارات شقية مع زملائه أين يصبح أكثر تحكماً في **مخارج الحروف**، وأكثر إتقاناً في نطقه للكلمات، وعندما يكتسب الطفل **المفردات اللغوية** يتكوَن لديه محصول لغوي، ويصبح قادرا على تركيب الكلمات والجمل، إلى أن يصبح قادرا على **إكتساب المهارات اللغوية** من قراءة وكتابة، ومهارة الاستماع والتحدث.

المراجع

المراجع باللغة العربية:

1- الحمداني موفق(2007)، علم نفس اللغةط:2، دار الميسرة.

2- برنار صيولسكي، ترجمة عبد القادر ستقادي (2010)، علم الاجتماع اللغوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

3- سرجيوسبيني، ترجمة فوزي عيسى(1991)، عبد الفتاح أحسن، التربية اللغة للطفل، دار الفكر العربي، القاهرة.

4- راتب قاسم عاشور،محمد فخري مقدادي (2009)، المهارات القرائية والكتابية-طرائق تدريسها وإستراتيجيتها، دار الميسرة، الأردن.

5- عبد الرحمان سيد سليمان، شيخة يوسف الدربسي(1996)، اللعب ونمو الطفل، دار النهضة العربية، القاهرة.

6- ميخائيل إبراهيم أسعد (1982)، مالك سليمان مخول، مشكلات الطفولة والمراهقة منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.

7- حامد عبد السلام زهران، رشدي أحمد طعيمة، عادل عز الدين الأشول، محمد عبد الرزاق الشيخ، لطفي عمارة مخلوف، محمد متولي قنديل، شايان عبد اللطيف أبوزنادة، محمد لطفي جاد، أمل عبد المحسن زكي(2009)، المفاهيم اللغوية عند الأطفال،ط: 2، دار المسيرة للنشر، الأردن.

8- صالح بلعيد، علم اللغة النفسي (2008)، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر.

المراجع باللغة الفرنسية:

1. **Annick Cartron, Fayda Winny Kamen, les relations sociales chez l'enfant 2ed, Armand colin, Paris 1999.**
2. **Gestud, R. Wyatt, la relation mère – enfant et l'acquisition du langage, 2ed, Pierre Mardaga, Boruxelles, 1973.**
3. **Nafissa Zerdoumi, enfants d'hier, Librairie Francois Maseno, Paris, 1970.**